جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل
IMAM ABDULRAHMAN BIN FAISAL UNIVERSITY
كلية العلوم والدراسات الإنسانية - الجبيل
College of Science and Humanities -Jubail
قسم الطفولة المبكرة | Early Childhood Department

هاكثون الطفولة

إنماء لرعاية الطفولة

مداد الابتكار ٣

مقالة بعنوان :.

لماذا لم تعد الحلول التقليدية كافية لتحديات الطفولة؟

د. سهى بدوي محمد منصور

أستاذ مساعد تربية الطفل

@inma1237

«المشكلة ليست أن الحلول التقليدية بلا قيمة، بل أنها صُممت لواقع أقل تعقيدًا، بينما يعيش الطفل اليوم داخل منظومة سريعة التغير ومتشابكة التأثيرات.»

لم تعد تحديات الطفولة تظهر في صورة مشكلة واحدة واضحة يمكن التعامل معها بإجراء منفصل؛ فالطفل اليوم يتأثر، في الوقت نفسه، بالأسرة والمدرسة والمنصات الرقمية والظروف الاقتصادية والاجتماعية والتحولات البيئية. وقد تمتد آثار أزمة واحدة إلى صحته وتعلمه وعلاقاته وشعوره بالأمان. وحين تتشابك مصادر التأثير بهذه الصورة، تصبح الاستجابة الأحادية أضيق من المشكلة نفسها؛ لأن معالجة جانب واحد، مع تجاهل بقية السياق، قد تخفف العرض مؤقتًا، لكنها لا تصل إلى جذور التحدي. ومن هنا يتضح أن السؤال لم يعد: ما الحل السريع لهذه المشكلة؟ بل: كيف نفهم المنظومة التي أنتجتها، وكيف نتدخل فيها بصورة متكاملة؟

هذا التحول في طبيعة التحديات يكشف قصورًا آخر في كثير من الممارسات التقليدية، إذ تعمل غالبًا بمنطق التدخل بعد وقوع المشكلة. ننتظر انخفاض التحصيل، أو ظهور سلوك مقلق، أو تفاقم العزلة، ثم نبدأ البحث عن علاج. غير أن سرعة التغير في حياة الطفل تجعل الوقاية والرصد المبكر أكثر أهمية من انتظار الأزمة. فملاحظات الأسرة والمعلمة، والمؤشرات النمائية، والبيانات التربوية، يمكن أن تكشف بوادر الخطر في بدايتها، بشرط استخدامها بمسؤولية ودون اختزال الطفل في رقم أو تنبؤ آلي. وبذلك تنتقل الاستجابة من رد الفعل إلى الاستباق، ومن علاج النتيجة إلى بناء عوامل الحماية قبل أن تتراكم المشكلة.

وإذا كان التدخل المبكر ضرورة، فإن نجاحه يظل مرهونًا بقدرته على مراعاة الفروق بين الأطفال. فقد بُنيت حلول كثيرة على افتراض أن الأطفال يتعلمون ويتواصلون ويستجيبون بالطريقة نفسها، بينما تختلف قدراتهم ولغاتهم وخبراتهم الرقمية واحتياجاتهم الحسية والمعرفية وظروفهم الأسرية. لذلك قد ينجح الحل الموحد مع بعض الأطفال، لكنه يضع عوائق جديدة أمام آخرين. ولا يعني تجاوز هذا القصور خفض التوقعات، بل تصميم خبرات مرنة تتيح أكثر من طريقة للوصول إلى المعلومة والتفاعل معها والتعبير عن الفهم، حتى يتمكن كل طفل من إظهار إمكاناته والمشاركة على قدم المساواة.

وقد جعل العالم الرقمي هذه الحاجة إلى المرونة أكثر إلحاحًا؛ فقد أتاح فرصًا واسعة للتعلم والتواصل، وفي الوقت نفسه أوجد تحديات تتعلق بجودة المحتوى والخصوصية والأمان وعدم تكافؤ الوصول. وهذا لا يكفي التعامل مع التقنية بالنصح العام أو المنع المطلق، كما لا يصح تقديمها بوصفها حلًا سحريًا. تشير اليونيسف إلى أن الإدماج الرقمي يتطلب بنية رقمية ميسورة وآمنة ومستدامة وقادرة على الصمود، حتى لا يُترك الأطفال خلف التحول الرقمي. ومن ثم يصبح البديل الأكثر فاعلية هو بناء الكفايات الرقمية لدى الطفل والأسرة والمعلمة، وتصميم أدوات ملائمة للعمر، مع إبقاء الحكم التربوي والإنساني حاضرًا في كل قرار.

غير أن التقنية المسؤولة لن تحقق أثرها إذا ظلت الجهود موزعة بين مؤسسات وتخصصات تعمل بمعزل بعضها عن بعض. فإذا كانت حياة الطفل تتشكل داخل منظومة، فإن الحل الفعال ينبغي أن يعمل بمنطق المنظومة أيضًا. فالأسرة لا تستطيع وحدها معالجة تحدٍ تصنعه بيئة رقمية واسعة، والمدرسة لا تستطيع تعويض غياب خدمات صحية أو اجتماعية لازمة، والمبرمج لا يستطيع تقدير الأثر النمائي للحل دون شراكة تربوية. لذلك تبرز الحاجة إلى فرق تجمع التربوي وأخصائي الطفولة والتربية الخاصة والصحة والتقنية والأسرة، مع منح الطفل مساحة آمنة للتعبير عن تجربته. وعندئذ يربط التكامل بين الخبرة العلمية والمعرفة الميدانية وصوت المستفيد، ويحول التدخل من نشاط محدود إلى مسار دعم متصل.

ولا يعني هذا الانتقال إلغاء الحلول التقليدية أو التقليل من قيمة الخبرة المتراكمة، بل إعادة بنائها لتلائم واقعًا جديدًا. يبدأ الابتكار المسؤول بتعريف المشكلة من منظور الطفل، ثم جمع أدلة متعددة بدل الاعتماد على الانطباعات، وتصميم نموذج أولي صغير قابل للاختبار، وقياس أثره في التعلم والمشاركة والرفاه، ثم تحسينه في دورات متتابعة. وينبغي أن يظل الحل بسيطًا وقابلًا للاستخدام، وأن يراعي الخصوصية والعدالة وإمكان الوصول والاستدامة. كما تؤكد توجهات اليونيسف في الابتكار أهمية تطوير حلول قابلة للتوسع، ملائمة للبيئات محدودة الموارد، وتقلل أوجه عدم المساواة بدلًا من توسيعها.

وهكذا، لم تعد الحلول التقليدية كافية لأنها غالبًا متأخرة ومجزأة وموحدة، بينما أصبحت تحديات الطفولة سريعة ومترابطة ومتفاوتة بين الأطفال. والاستجابة المطلوبة ليست المزيد من الأدوات فحسب، بل طريقة مختلفة في التفكير: وقائية بدلًا من علاجية، وتكاملية بدلًا من منفصلة، ومرنة بدلًا من موحدة، وتشاركية تُصمَّم مع الطفل لا من أجله فقط. وعندما يجمع الابتكار بين الدليل العلمي والخبرة التربوية والتقنية المسؤولة وصوت الطفل، تتحول مواجهة التحديات من إدارة مؤقتة للأزمات إلى بناء بيئات أكثر قدرة على حماية الطفولة، وتنمية إمكاناتها، وصناعة مستقبلها.

شريك استراتيجي

شريك أكاديمي

جهات اشرافية

شريك ماسي

شريك ذهبي

شريك منفذ

شريك إعلامي

شريك الضيافة

@inma1237